



الفروق الفردية بين المتعلمين في المرحلة الابتدائية ودور المعلم في تحقيق التوازن التربوي
Individual Differences Between Primary School learners and the role of the teacher in achieving pedagogical balance

هيري نعاس
جامعة الجلفة

تاريخ القبول : 2026/02/10

تاريخ الاستلام: 2026/01/18

Abstract :

Individual differences among learners are one of the fundamental issues in modern studies that directly affect the educational process. The study aims to shed light on the concept of individual differences among primary school students by examining their manifestations, causes, and the role assigned to the teacher in addressing this concept in order to achieve educational balance within the classroom. The article concludes that taking individual differences into account through highly flexible teaching strategies contributes to improving academic outcomes and fostering well-rounded personality development.

ملخص:

الفروق الفردية بين المتعلمين هي إحدى القضايا الأساسية في الدراسات الحديثة التي تؤثر مباشرة في العمل التعليمي.

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على مفهوم الفروق الفردية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من خلال المظاهر والأسباب والدور الذي يقع على عاتق المعلم باعتبار هذا المفهوم لأجل تحقيق التوازن التربوي داخل الصفوف الدراسية، وخلص المقال إلى أن الاعتبار بالفروق الفردية من خلال استراتيجيات تعليمية مرنة بشكل كبير يساهم في تحسين النتائج الدراسية ونمو الشخصية بصورة متكاملة.

الكلمات المفتاحية:

-الفروق - الفردية - المرحلة الابتدائية

مقدمة:

تُعَدُّ الفروق الفردية من القضايا المحورية التي تشغل الباحثين في مجالات علم النفس والتربية والاجتماع، لما لها من أثر بالغ في فهم طبيعة الإنسان، وتفسير تنوع أنماط السلوك والأداء بين الأفراد. فالاختلاف بين الناس ليس مجرد ظاهرة عابرة، بل هو سمة أصيلة من سمات الوجود البشري، تتجلى في مظاهر متعددة تشمل القدرات العقلية، والميول والاتجاهات، والسمات الشخصية، والاستجابات الانفعالية، وسرعة التعلم، وقد شكّل هذا التنوع مصدر إثراء للخبرات الإنسانية من جهة، ومحلّ إشكال في ميادين التطبيق التربوي والتنموي من جهة أخرى، ما استدعى الحاجة إلى دراسته بعمق علمي ومنهجي.

وفي كل صف من صفوف المرحلة الابتدائية، يدرك المعلم أن المتعلمين ليسوا نسخاً متطابقة، بل هم أشخاص مختلفون في أفكارهم، ووتيرة تعلمهم، واستعداداتهم، وسلوكياتهم.. هذا التنوع الطبيعي بين التلاميذ هو ما يُعرف في ميدان التربية وعلم النفس التربوي بـ"الفروق الفردية"، وهي من الظواهر التربوية التي تتطلب وعياً تربوياً وخططاً تعليمية مرنة. فالفروق الفردية ليست مجرد اختلاف في النتائج المدرسية، بل هي تجلّ لاختلاف أعمق في القدرات العقلية، والسمات النفسية، والخصائص الجسدية، والخلفيات الاجتماعية والثقافية، بل وحتى في الدوافع والميول وأساليب الاستيعاب.

وإن المتأمل في تعاليم الإسلام يجد أن هذا الاختلاف سنة كونية أرادها الله تعالى لحكمة بالغة؛ فقد جاء في محكم التنزيل قوله عزّ وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ^٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: 22)، وهذه الآية تُبرز أنّ التنوع والاختلاف في الملامح واللغات والأنماط إنما هو من دلائل عظمة الخالق.

من وهنا تبرز مسؤولية المعلم، الذي لا ينبغي أن ينظر إلى هذا الاختلاف باعتباره عائقاً، بل بوصفه فرصة لبناء تعليم أكثر عدلاً وإنصافاً. وتزداد هذه المسؤولية أهمية في المرحلة الابتدائية

تحديدًا، لأنها المرحلة التي تتشكل فيها الاتجاهات نحو المدرسة والتعلم، وتتبلور فيها الثقة بالنفس، والانفتاح على الآخر، والقدرة على تجاوز التحديات الأكاديمية والاجتماعية.

ويعود منشأ هذه الظاهرة إلى مجموعة معقدة من العوامل فمن جهة، تلعب العوامل الوراثية دورا في تحديد بعض القدرات الأساسية كالذكاء، والذاكرة، وسرعة التعلم، والاستعدادات الفطرية. ومن جهة أخرى، تسهم العوامل البيئية والتربوية في تنمية هذه القدرات أو إضعافها، مثل نمط التنشئة الأسرية، وجودة الرعاية في السنوات المبكرة، ومدى التحفيز الذي يتلقاه الطفل، بالإضافة إلى ظروف المؤسسة التربوية نفسها من حيث المناهج، وأساليب التدريس، وحجم القسم، وجودة العلاقات داخل الصف. كما لا يمكن إغفال الأثر العاطفي والنفسي للفروق الفردية.

إن السعي إلى توحيد المتعلمين وفق معايير جامدة يؤدي أحيانا إلى نتائج تربوية سلبية، كالشعور بالإقصاء، وتنامي السلوكيات غير المرغوب فيها، والعزوف عن المشاركة، ولهذا فإن المعلم الناجح هو من يمتلك القدرة على تكييف استراتيجياته لتناسب التنوع داخل فصله. ومن بين الأساليب الناجعة في هذا الصدد نذكر: التعليم التفريدي الذي يراعي أن لكل متعلم وتيرة خاصة به؛ ثم محاولة تنويع الأنشطة الصفية بين العمل الفردي والجماعي مع تقديم الدعم للمتعثرين دون إحراج؛ وتشجيع التعلم الذاتي؛ بالإضافة إلى تنويع أدوات التقويم. ومن المهم كذلك أن يبني المعلم علاقات شخصية إيجابية مع تلاميذه التي تُعزز الإحساس بالانتماء داخل الصف.

ومن هنا تبرز أهمية التكوين المستمر للمعلمين في هذا المجال، وتوفير بيئة تعليمية داعمة؛ لأنّ وعي معلم المرحلة الابتدائية بهذه المسألة، وتوظيفه للأدوات التربوية المناسبة، يُعدّ من أبرز مؤشرات الكفاءة المهنية، وأحد أعمدة النجاح المدرسي، الذي لا يقاس بالتحصيل فقط، بل بمدى قدرة المدرسة على رعاية الاختلاف وتحويله إلى قيمة مضافة.

وانطلاقاً من كل ما سبق، يبرز السؤال المحوري:

ماذا نعني بالفروق الفردية؟

وما هي الأسباب التي تقف وراءها؟

أولاً : مفهوم الفروق الفردية وأبرز مجالاتها

لغة:

فرّق، يفرّق، فرقا و فرقانا ، فهو فارق والمفعول مفروق . ويُقال: فرّق بين المتشابهين أي: بيّن أوجه الاختلاف بينهما ، وفرّق تجمع على أفراق وفروق¹.

وتفرّق الشيء: انقسم .

اصطلاحاً:

*يعرف البعض الفروق الفردية بأنها : الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة.

*كما أنّها :تلك الصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد سواءً كانت تلك الصفة جسمية أم في سلوكه الاجتماعي.

*ولعل أشهر هذه الفروق تبدو في الصفات الجسمية كالطول والوزن ونغمة الصوت وهيئة الجسم وهذه الفروق الجسمية تطفو على السطح فنشاهدها وهناك أيضا فروق كثيرة في النواحي الإدراكية والانفعالية² .

*ومن جهة أخرى عرّفها ميرفت عبد المنعم على أنّها : تلك الصفات التي تميّز إنسان عن غيره فجميعنا لسنا متشابهين في الصفات أو المهارات التي نتقنها، فلكل شخص منّا مهارات خاصّة به

¹ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية ، مج1، ط1-2003، القاهرة ، ص: 1697 .

² عبد الحميد ابراهيم- عبد الحميد محمد ، الفروق الفردية وأثارها في عملية التعليم وتطبيقاتها، 1435هـ .

، حيث تختلف الفروق الفردية من شخص لآخر من حيث السمات الجسمانية أو العقلية أو الخلقية أو غيرها من السمات التي تميز البشر عن بعضها البعض³.

و قد تختلف قدرات الشخص نفسه في خصائص وسمات معينة ، فقد يتميز الفرد

بالقدرة الإبداعية ، إلا أنه من ناحية أخرى قد يكون قليل الذكاء ، وقد يتميز بالذكاء ، إلا أنه ضعيف الإرادة ، أو قد يكون الفرد ذو قدرات لغوية ممتازة ، بينما يتصف آخر بالقدرة الميكانيكية ، وآخر يتميز بالمقدرة على التفكير ، والتحليل ؛ لذلك يجب أن تراعي المؤسسات التعليمية الفروق الفردية بين التلاميذ ، بحيث يتم تعليمهم ، و إرشادهم ، و توجيههم ، بما يتناسب مع قدراتهم ، وسماتهم الفردية⁴.

الفروق الفردية في السنة :

*لقد حثّ الإسلام على مخاطبة الناس على قدر عقولهم وعلى مقدار ما يستوعبون ويفهمون ؛ فورد في صحيح الإمام مسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : " ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ". وورد عن علي (كرم الله وجهه): " حدثوا الناس بما يستطيعون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ "⁵.

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، بِحَدِيثٍ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : ((النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا قَفُّهُوا ، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)) ، أي أنّ النَّاسَ أصول للأخلاق والأعمال و الأوصاف⁶ فهم ليسوا سواسية بأي مقياس من المقاييس.

³ ميرفت عبد المنعم، الفروق الفردية بين الأطفال، مقال بتاريخ: 2017/12/06 .

⁴ ابو حسن ظاهر خالد، فنّ التدريس في الصفوف الابتدائية الثلاثة الأولى، عمان-الأردن، دار أسامة للنشر ، ص73 .

⁵ بدر عبد الحميد هميسه ، مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ، مقال في صيد الفوائد .

⁶ خالد بن عثمان السبت ، شرح حديث أبي هريرة "الناس معادن" ، محاضرة بتاريخ : 19/جمادي الآخر/ 1428 .

ثانياً: الأسباب المؤدية إلى ظهور الفروق الفردية

العوامل الوراثية:

*الجسم و الأعضاء الخاصة به: كالشبه في الوجه والطول والقصر ولون البشرة ...

*الجهاز العصبي: وهو يلعب دور كبير في القيام بتحديد الوظائف العقلية التي تميز كل إنسان عن غيره .

*الصحة العامة والتغذية الخاصة:

حيث أنّ هذا العامل له دور كبير في بناء الجسم بشكل مباشر، و قوة الخلايا الخاصة به ، ومدى قدرة الجسم على عودة بناء الخلايا التالفة فان الطفل السليم يختلف بشكل كبير -إن لم نقل كلي- عن الطفل الذي يمتلك الجسد المريض ، فالمعروف والمصادق عليه أنّ العقل السليم في الجسم السليم⁷ .

*التربية والمجتمع المحيط بالإنسان:

فالاختلاف في تربية الأطفال داخل المجتمعات المختلفة يلعب دور أساسي في الفروقات بين الأطفال وبعضهم البعض، حيث أنّ الأسرة و المجتمع و البيئة التي تُحيط به تعمل على تكوين شخصية الطفل الذي سوف يتعامل بها مع الآخرين أقرانه في المستقبل⁸ .

ثالثاً: أهم الطرائق التربوية لمعالجة الفروق الفردية داخل الصف

⁷ يُنظر، المرجع السابق .

⁸ يُنظر ، ميرفت عبد المنعم ، الفروق الفردية بين الأطفال، مقال بتاريخ: 2017/12/06

* العمل من جانب المعلم على تهيئة المتعلم أثناء العملية التعليمية التعلمية من أجل تلقي المعلومة أو الدرس ، فتهيئة المتعلمين وإعدادهم عقليا و وجدانيا وجسميا لتعلم الدرس الجديد من أهم الأمور التي ينبغي للمعلم العناية بها .

* تنويع في استراتيجيات الإدارة الصفية و إتباع الأسلوب الأمثل⁹ في عملية التعليم حتى يتسنى الفهم للجميع نحو: التنويع في الأسئلة ، شرح مفردات غامضة وتوضيحها ، إثارة الحماس بين المتعلمين ، واستعمال أسلوب التشويق بتجارب ملموسة في حدود الحاجة ، خلق روح التنافس من خلال التسابق الفردي أو الجماعي، المدح ، والتذكير بما دُرس سابقا .

* العمل من جانب المدرس على تنويع والتدرج في مستويات الأسئلة بين السهل و المتوسط و الصعب .

* العمل على تنويع وسائل التعليم للأطفال :

مثل السبورة فهي من أكثر الأدوات والوسائل التي يمكن أن يُستفاد منها في عملية التعليم ، أو من خلال الكتب المصورة والمتنوعة ، أو تمثيل أدوار كلا حسب ميولاته ، أو التسجيل الصوتي ، وغيرها من الوسائل الجديدة و الشيقة للأطفال...

* يُفترض على المعلم أن يكون وسطي في حالتي الثواب و العقاب حسب مختلف الفروقات الفردية والمواقف .

* الاعتدال بين رفع الصوت وخفضه :

رفع الصوت يلفت الانتباه كذلك خفض الصوت إلى مستوى يمكن سماعه من طرف المستمع بهدوء لتعلم التلاميذ فن الإنصات ...

⁹ يُنظر، المرجع نفسه .

* عدم التمييز من قبل المعلمين بين المتعلم الذكي و المتعلم الأقل ذكاء ، مع تحفيز المتعلمين الأقل ذكاء .

* التشجيع والتودد :

فهو شيء ضروري مع مراعاة التوازن بين التشجيع المادي والمعنوي ، اذ أنه من الخطأ الاقتصاد على الجوائز المادية فقط ، لئلا يشب الطفل نفعيا يأخذ مقابل ما يفعل ، لكن المكافئة المعنوية كالمدح ولثناء أمام الآخرين لها كبير الأثر في تشجيع الطفل وتحفيزه ¹⁰.

النظرة والابتسام :

وقد يُستهان بها أحيانا مع أنها دليل على الحب و الود كما أنها قد تكون دليلا على العقاب إن كانت حادة فيها تجهم ، ولذلك فان النظر بلطف مع ابتسام تزيد من محبة المتعلم لمعلمه ، وهي الى جانب ذلك صدقة لا تكلف شيئا كما قال نبينا الرفيق (صلى الله عليه وسلم) : ((تبسمك في وجه أخيك صدقة)) ¹¹.

* استغلال أوقات الفراغ أو تحديد وقت معين للقصة :

فالقصاص والحكايات والروايات المسموعة والمحكية و المرئية تساعد على تعديل المزاج وغرس القيم ، و ينبغي مراعاة أن تكون القصة هادفة تجنى من رائها ثمرة خاصة وهي تتطبع في الذهن فيصعب نسيانها فالقصاص عن الكذب والصدق والقوة وحسن الخلق و النظافة وغيرها هامة جدا ، كما يُفضل أن تقطع القصة ولا تكمل عند موضع معين لتكون وسيلة للتربية بعد ذلك : ثوبا أو عتابا فان أحسن تُستكمل له ¹².

¹⁰ محمد سعيد مرسي ، فن تربية الأولاد في الإسلام ، ص: 102 .

¹¹ يُنظر ، المرجع نفسه ، ص : 106 .

¹² محمد سعيد مرسي ، فن تربية الأولاد في الإسلام ، ص : 103 .

* التنوع في طرق التدريس للأطفال حتى يتمكن الجميع من تلقى الدرس كما يجب أن يكون ، وفي حديثنا هذا يمكن التعرض لبعض طرق التدريس :

طريقة المحاضرة أو الإلقاء :

تُعدّ طريقة المحاضرة أو الإلقاء من أقدم الطرائق التعليمية وأكثرها انتشارًا في مختلف المستويات الدراسية، وهي تقوم أساسًا على نقل المعرفة من المعلم إلى المتعلمين شفهيًا، حيث يُلقى المعلم محتوى الدرس بشكل مباشر في صورة شرح وتفسير وتقديم للمفاهيم والأفكار، غالبًا دون مشاركة نشطة من التلاميذ. وتتميز هذه الطريقة ببساطتها وسهولة تنظيمها، كما تُمكن المعلم من تغطية كمّ كبير من المعلومات في وقت قصير، ما يجعلها مناسبة عند تقديم معارف جديدة أو عند الحاجة إلى التوضيح المركز والسريع. غير أنّ استخدامهما في الطور الابتدائي يتطلب تكييفًا خاصًا، بالنظر إلى طبيعة المتعلمين في هذه المرحلة، والذين يتميزون بقصر مدة الانتباه، والحاجة إلى التفاعل الحسي والحركي مع المحتوى.

ولتطبيق طريقة المحاضرة بشكل فعال في التعليم الابتدائي، ينبغي على المعلم أن يتجنّب الإلقاء الجاف أو الخطاب الطويل المتواصل، وأن يسعى إلى جعل الشرح حوارياً وتفاعلياً قدر الإمكان، من خلال طرح أسئلة تحفيزية، وضرب أمثلة قريبة من واقع الأطفال، واستعمال نبرة صوت مرنة تُعبّر عن الحماس. كما يُستحسن دعم الإلقاء بالوسائل البصرية كالصور، والرسوم التوضيحية، والمجسمات، والسبورة، وحتى المقاطع السمعية والبصرية، لجعل الشرح أكثر جذبًا وانخراطًا. وقد تُستخدم هذه الطريقة، على سبيل المثال، عند تقديم معلومة علمية جديدة أو حكاية تاريخية، على أن يتبعها المعلم بأنشطة صفية تفاعلية مثل المناقشة أو التلخيص أو تنفيذ مشروع مصغر، بهدف ترسيخ المعلومات وتنمية التفكير. ومن المهم أن يراعي المعلم خلال الإلقاء اللغة المستعملة، بحيث تكون بسيطة ومناسبة لمستوى الفهم اللغوي للتلاميذ، مع التدرج في تقديم المعلومات ومراعاة الفروق الفردية بينهم في الاستيعاب والانتباه.

وعليه، فإن طريقة المحاضرة، وإن كانت تُصنّف ضمن الطرائق التقليدية، إلا أنها تظل ذات قيمة تربوية إذا ما استُخدمت بذكاء ومرونة، وبما يتناسب مع الخصائص النمائية للطفل في المرحلة الابتدائية، بحيث لا تتحوّل إلى تلقين سلبي، بل تندمج ضمن إطار تعليمي متكامل يُحفّز المشاركة ويشجع على التعلّم النشط.

ونستحضر في حديثنا عن هذه الطريقة صفات الإلقاء النبوي، قالت عائشة (رضي الله عنها) :
"ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسرد سردهم هذا ولكن كان يتكلّم بين فصل يحفظه من جلس إليه وكان كثيرا ما يعيد الكلام ثلاثا ويختمه بأشداقه ويتكلّم بجوامع الكلم " . و إذا كره الشيء عرف في وجهه أي تغيّرت ملامح وجهه¹³ .

رابعا: طرائق تدريس المعلم وأثره في تعزيز التوازن النفسي والتعليمي في ظل هذا التنوع
طريقة المناقشة :

تُعدّ طريقة المناقشة من الطرائق التعليمية الحديثة نسبياً التي تركز على مبدأ التفاعل والحوار بين المعلم والمتعلمين، كما تُعتبر من أهم الوسائل التي تُنمّي التفكير النقدي والقدرة على التعبير عن الرأي وتنظيم الأفكار لدى التلاميذ.

وتقوم هذه الطريقة على إشراك المتعلمين في الدرس من خلال طرح الأسئلة، وإثارة النقاشات، وتشجيعهم على طرح آرائهم ومقارنتها، وتقديم حججهم وأمثلة، تدور هذه الطريقة حول إثارة تفكير ومشاركة المتعلمين و إتاحة فرصة الأسئلة والمناقشة مع احترام اقتراحاتهم¹⁴ على مستوى اختلاف التلاميذ ، وهي السبيل إلى تحسين عقول ومدارك التلاميذ . بدلا من أن يقتصر دورهم على الاستماع السلبي كما هو الحال في الطريقة الإلقائية. وتاريخياً، يمكن القول إن جذور هذه الطريقة تعود إلى الفلسفة الإغريقية، حيث استخدمها سقراط في القرن الخامس قبل الميلاد فيما

¹³ د/ عبد اللّطيف بن حسين فرج ، طرق التّدرّيس في القرن الواحد والعشرون، ط1-2005، دار المسيرة، ص: 92 .

¹⁴ يُنظر ، عبد اللّطيف بن حسين فرج ، طرق التّدرّيس في القرن الواحد والعشرون ، ص: 87 .

عُرف لاحقاً بـ"الطريقة السقراطية"، والتي تعتمد على إثارة الأسئلة المتتالية لدفع المتعلم إلى التفكير النقدي واكتشاف الحقيقة بنفسه.

وفي السياق المدرسي، وخاصة في التعليم الابتدائي، تُعدّ طريقة المناقشة فعالة جداً إذا ما أُحسن تنظيمها وضبطها بما يتناسب مع مستوى النمو العقلي واللغوي للتلاميذ. فهي تُساعد على تنمية القدرة على الاستماع، واحترام الرأي الآخر، وصياغة الجمل والتفكير المنطقي، كما تُسهم في تعزيز الثقة بالنفس والانخراط في البيئة الصفية. ويُمكن للمعلم أن يوظف المناقشة في مراحل مختلفة من الدرس: قبل الشرح لاستثارة التفكير، أثناء الدرس لتثبيت الفهم، أو بعده للتقويم وتعميق الاستيعاب. ومن أمثلة تطبيقاتها: طرح سؤال مفتوح حول ظاهرة طبيعية، أو مناقشة نهاية قصة، أو طرح موقف أخلاقي يدعو للتفكير الجماعي. ويُشترط لنجاح هذه الطريقة أن يسود جو من الاحترام المتبادل، وأن يُوجّه المعلم الحوار بشكل متوازن، دون أن يُقصي آراء بعض المتعلمين أو يُهيمن على النقاش، بل يجب أن يُفسح المجال للتفاعل البناء.

وهكذا، فإن طريقة المناقشة لا تُعدّ مجرد تبادل كلامي، بل هي أداة تربوية فعّالة تستند إلى النشاط العقلي واللغوي والاجتماعي، وتُجسّد التحوّل من التعليم المتمركز حول المعلم إلى التعليم القائم على التفاعل والمشاركة، ما يجعلها من أنجع الطرق في بناء شخصية المتعلم خصوصاً حين يُحسن توظيفها في بيئة تعليمية محفزة ومفتوحة.

طريقة الحوار:

تُعدّ طريقة التدريس بالحوار من الطرائق النشطة التي تحتل مكانة متميزة ضمن الأساليب التربوية المعاصرة، لما لها من أثر إيجابي في تنمية التفكير والتواصل، خصوصاً لدى المتعلمين في المرحلة الابتدائية، والذين تتراوح أعمارهم بين 6 و12 سنة.

وتقوم هذه الطريقة على تبادل الآراء والأفكار بين المعلم والتلاميذ في إطار منظم، يُشجّع على التعبير الحر والمناقشة البناءة حول موضوع محدد. ويُساعد هذا الأسلوب على تطوير العديد من

المهارات الأساسية التي يحتاجها الطفل في هذه المرحلة، مثل الاستماع الفعال، واحترام الرأي الآخر، وتنظيم الأفكار، والتعبير الشفهي الواضح، بالإضافة إلى تعزيز الثقة بالنفس والشعور بأهمية المشاركة في الموقف التعليمي.

ويُشترط لنجاح هذه الطريقة أن يكون الحوار مناسباً لمستوى النضج العقلي واللغوي للتلاميذ، وأن يُدار من طرف المعلم بأسلوب محفّز بعيد عن التلقين أو فرض الآراء. كما يجب أن يُصاغ بأسئلة مفتوحة تدعو إلى التفكير، وأن يُوظّف في سياقات تعليمية تراعي بيئة الطفل وثقافته.

إن التدريس بالحوار، في هذه المرحلة الحساسة من النمو، لا يسهم فقط في اكتساب المعرفة، بل يُعدّ مدخلاً لتكوين شخصية الطفل وتعزيز قدراته على التفاعل الإيجابي مع محيطه المدرسي والاجتماعي، مما يجعل هذه الطريقة من أنجع الوسائل لبناء تعلم فعّال قائم على التفاهم والتفكير والانفتاح.

طريقة التدريس الجمعي:

هو التعلّم الذي يتمّ من خلال مجموعات كبيرة أو صغيرة من حيث تقسيم تلاميذ الصف .

والتعلّم الجمعي من حيث التعامل مع كل المتعلّمين الموجودين بحجرة الدّراسة يفيد في عملية تبادل الأفكار والآراء بين المتعلّمين وبالتالي إحداث نوع من الصّراع المعرفي أثناء العملية التّعليمية ، ويمكن بهذه الطريقة أيضاً أن نتغلب على قلة الوسيلة التّعليمية¹⁵

طريقة حل المشكلات :

تُعدّ طريقة حل المشكلات من الطرائق النشطة التي تُركّز على تنمية التفكير العلمي والمنطقي لدى المتعلمين، وهي من الطرق التي يتم التركيز عليها في تدريس العلوم ، غرضها هو مساعدة الطلبة على إيجاد الحلول بأنفسهم وعرض المواقف (المشكلة) والوصول إلى حلّها¹⁶، وتقوم على

¹⁵ عريشة أبو الأرباح ، موضوع في تعليمية المادّة : مزايا العمل الفوجي ، ت: 2019/03/26، بوعبدلي - مسعد .

¹⁶ يُنظر ، المرجع نفسه ، ص: 125 .

طرح وضعية مشكلة حقيقية أو افتراضية تُثير تفكير التلاميذ، وتدفعهم إلى البحث عن حلول بأنفسهم، اعتمادًا على معارفهم السابقة ومهاراتهم المكتسبة. وفي الطور الابتدائي، تُستخدم هذه الطريقة لتشجيع الأطفال على طرح الأسئلة، وتحديد المشكلة، واقتراح حلول وتجريبها، ثم تقييم النتائج .

ويمكن تطبيقها في مجالات متعددة مثل الرياضيات (حل مسائل واقعية)، أو العلوم (تفسير ظواهر طبيعية)، أو التربية المدنية (اقتراح سلوكيات لحل مشكلات مدرسية). وتُسهم هذه الطريقة في تعزيز روح المبادرة، وتنمية التفكير النقدي، وتحفيز المتعلم على المشاركة الفعالة والتعلم الذاتي، ما يجعلها مناسبة جدًا لتطوير مهارات التفكير لدى الأطفال بطريقة مشوقة وهادفة.

الطريقة الاستكشافية :

من الطرائق التعليمية الحديثة التي تهدف إلى تنمية روح الفضول والبحث والاستقلالية لدى المتعلمين، ففي هذه الطريقة -الطريقة الاستكشافية - تقع المسؤولية الكبرى في عملية التعلم على الجهد المبذول من طرف المتعلم في المساهمة في هذه العملية¹⁷ ، من خلال تشجيعهم على اكتشاف المعرفة بأنفسهم بدل تلقيها جاهزة من المعلم. وتقوم هذه الطريقة على وضع المتعلم في مواقف تعليمية تحفّزه على الملاحظة، وطرح الفرضيات، والتجريب، والاستنتاج، سواء بشكل فردي أو جماعي، تحت إشراف المعلم وتوجيهه. وفي الطور الابتدائي، تُمثل هذه الطريقة أداة فعّالة في تنمية قدرات التفكير العلمي، خاصة عند التعامل مع المفاهيم المجردة أو الظواهر العلمية المبسطة، مثل تغيير حالات المادة، أو تصنيف الكائنات الحية، أو ملاحظة الخصائص الفيزيائية للأشياء.

¹⁷ عبد اللطيف بن حسين فرج ، طرق التدريس ، ص: 141 .

ويمكن دور المعلم في تهيئة بيئة مناسبة للاستكشاف، وتقديم موارد محفزة (صور، أدوات، تجارب مبسطة)، وطرح أسئلة موجهة، ثم مساعدة المتعلمين على تنظيم نتائجهم والتوصل إلى تعميمات بسيطة .

وُسهم هذه الطريقة في جعل المتعلم محور العملية التعليمية، كما تعزّز لديه حب التعلم والتجريب والتفكير المنظم، مما يجعلها مناسبة جدًا لخصائص الطفل في هذه المرحلة المبكرة.

خامسا: أنواع شخصيات المتعلمين وطرق التعامل معها

كثير الحركة وعدم الاستقرار:

فالمتعلم في المرحلة السنية المبكرة لا يجلس في مكان واحد لفترة طويلة ، والرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: " عراقاة الصبي في صغره زيادة في عقله عند كبره " رواه الترمذي .

أي أنّ الحركة الكثيرة واللعب الدائم وعدم الاستقرار والصعود والنزول وغير ذلك يزيد من ذكاء الطفل وخبرته بعد أن يكبر ، أمّا الآخر الذي لا يتحرك ويجلس دائما وحيدا في أحد الأركان فهو غير سوي ، وغالبا ما سيصاب بعد ذلك بالانطواء والكبت والخوف ولخجل نتيجة لذلك . وللتعامل مع هذا النوع من الأطفال يجب:

فانطلاقاً من أنّ النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية هذا بالنسبة للكبار ، أمّا الطفل فلا بدّ للمربي أو المعلم أن يحاول أن يشغل فراغه كترتيب الدفاتر وتكليفه بمسح السبورة والكتابة ولعب الأدوار...، فإن لم تشغله بما هو مفيد سيفرغ طاقته بما هو غير مفيد¹⁸ .

شدة التقليد :

فالمتعلم يُقلّد المعلم في الحسن والقبيح واللباس والحركات وطريقة الكلام و التعامل بصفة عامّة ، ولاستغلال هذه الخاصيّة لدى الأطفال خاصّة يمكن اقتراح :

¹⁸ محمد سعيد مرسي ، فن تربية الأولاد في الإسلام ، ج1، دار الطباعة والنشر الإسلامية، مكتب القاهرة ، ص13-14 .

أن نحكي له حكايات الصّحابة والصّالحين والعلماء والنّماذج الطّيبة لتقليدهم ويمكن استغلالها في حصة التّعبير الشفوي .

المتعلّم العصبي :

فإذا كان السبب عضوي فيعالج خارج إطار المؤسسة التّربوية عند طبيب خاص او غير ذلك ، أمّا دور المعلم في التعامل مع هذا النوع من المتعلّمين هو محاولة القضاء على هذه الظاهرة في صفّه بتشجيعه على الاختلاط بذوي الأخلاق الحسنة من زملائه ، مشاركته في الأنشطة المختلفة خاصّة الرياضية منها والفنيّة ، مدحه أمام زملائه ونعته بأحسن الصّفات ، فهذا كله سيساعد على تنمية شخصية الطفل .

المتعلّم العدوانى :

يمكن التعامل معه ب :

-عدم مقارنة المتعلّم بغيره ، وعدم تعبيره بذنب ارتكبه .

-اختلاط الطفل مع أقرانه في صفّه لإشباع فهمه وتصوّره لمختلف الأمور .

المتعلّم الانطوائى:

يُعدّ التلميذ الانطوائى من الفئات التي تحتاج إلى عناية تربوية خاصة داخل القسم، فهو غالبًا ما يتّسم بالهدوء، وقلة الحديث، وتجنّب التفاعل الجماعي، مما قد يُخطئ البعض في تفسيره على أنه كسل أو عدم رغبة في التعلم. غير أن الانطوائية ليست عيبًا ولا اضطرابًا، بل هي سمة من سمات الشخصية، تتمثل في الميل إلى التركيز على العالم الداخلي، والتفاعل المحدود مع المحيط الخارجي. ولهذا، فإن تعامل الأستاذ مع هذا النوع من التلاميذ يجب أن يقوم على الفهم والتقدير لا على الضغط أو الإكراه.

ومن أهم الخطوات التي يُستحسن أن يتبعها المعلم: أولاً، خلق بيئة صفية آمنة وغير مهددة، تشجع على التعبير دون خوف من السخرية أو المقارنة. ثانياً، تقديم فرص مشاركة فردية بدلاً من فرض التفاعل الجماعي المباشر، مثل طرح الأسئلة المباشرة بطريقة لطيفة، أو تشجيعه على الإجابة كتابة قبل التحدث. ثالثاً، العمل على بناء علاقة شخصية إيجابية معه قائمة على الاحترام والثقة، مما يعزز شعوره بالأمان ويشجعه على الانفتاح التدريجي. كما يُستحب أن يلاحظ الأستاذ مواطن القوة لدى هذا التلميذ ويثني عليها أمامه دون مبالغة أو إحراج.

إن التعامل التربوي الحكيم مع التلميذ الانطوائي لا يهدف إلى تغييره أو دفعه ليكون شخصاً آخر، بل إلى تمكينه من التعبير عن نفسه بطريقته الخاصة، ومساعدته على الاندماج في الوسط المدرسي بما يتناسب مع طبيعته الشخصية.

سادساً: آثار إهمال المعلم للفروق الفردية بين المتعلمين

* ضعف التحصيل الدراسي:

عندما يهمل المعلم الفروق الفردية، يُقدّم المحتوى بأسلوب واحد لا يُراعي اختلاف القدرات، مما يؤدي إلى تقدّم بعض المتعلمين وتخلّف آخرين، خاصة أولئك الذين يحتاجون إلى وتيرة أبطأ أو شرح مبسّط، فيتراجع مستواهم وتضعف دافعيتهم نحو التعلم ويزداد إحساس المتعثرين منهم بالإحباط و الانزواء ، وسينخفض مستواهم التعليمي إلى أسوأ مما كانوا عليه ، بينما التلاميذ المتفوقون سيبقى مستواهم ثابتاً¹⁹.

* فقدان الثقة بالنفس:

شعور المتعلم بأنه أقل قدرة من زملائه أو أنه غير قادر على مجاراة الدرس قد يولّد لديه إحساساً بالإقصاء والعجز، ما يؤدي تدريجياً إلى ضعف الثقة بالنفس والخجل والانطواء داخل القسم.

¹⁹ أحمد حسن محمّد علي ، مهارة التّعامل مع الفروق الفردية للطلّاب ، مقال بتاريخ : 2017/05/17 ، منتدى تعليم جديد .

*ضياح فرص تطوير القدرات الفردية:

عدم مراعاة الفروق يُفقد المعلم فرصة استثمار نقاط القوة لدى التلاميذ، سواء في الذكاء اللغوي أو الحركي أو الاجتماعي، وبالتالي يتم التعامل مع الجميع كأنهم متشابهون، مما يُعيق نموهم الشخصي والمعرفي، فالإدارة التعليمية لن تحقق تقدماً يذكر في تربية الطلاب وتعليمهم ، و من ثم لن تشجع على استخدام الطرائق الحديثة في التدريس ، و لا على اقتناء الوسائط التعليمية²⁰...

خلل في تحقيق العدالة التربوية:

إنَّ إهمال المعلم للفروق الفردية بين المتعلمين يُعدّ إخلالاً صريحاً بمبدأ العدالة التربوية، الذي يُفترض أن يكون من الأسس المركزية للعملية التعليمية. فالعدالة لا تعني معاملة جميع التلاميذ بطريقة واحدة، بل تعني منح كل متعلم ما يناسبه من حيث طريقة الشرح، وتوقيت الدعم، وأساليب التقويم، وفقاً لقدراته واحتياجاته.

وعندما يُدرّس المعلم بأسلوب موحد دون مراعاة لهذا التنوع، فإنه يُكرّس تمييزاً غير معلن بين التلاميذ، إذ يستفيد من الدرس فقط من يتوافق مستواه مع الطريقة المعتمدة، في حين يُهمل الآخرون دون قصد. وهذا يؤدي إلى شعور بعض المتعلمين بالغبن والتهميش، ويحدّ من فرصهم في التطور والتحصيل، مما يُضعف مبدأ الإنصاف داخل القسم، ويؤثر سلباً على دافعية التعلم والمناخ التربوي بشكل عام..

خاتمة

بعد هذا التدرج في معالجة موضوع الفروق الفردية بين المتعلمين في الطور الابتدائي، يتّضح أن التعلم الحقيقي لا يتحقّق بمعايير موحدة تُفرض على الجميع، بل يتطلب إدراكاً عميقاً لتنوع القدرات والخصائص التي يحملها كل متعلم على حدة.

²⁰ أحمد حسن محمد علي ، مهارة التّعامل مع الفروق الفردية للطلّاب .

*وقد بدأنا هذا البحث بتحديد مفهوم الفروق الفردية، فتبين أنها ليست انحرافاً عن "الطبيعي"، بل هي جزء من الطبيعة الإنسانية ذاتها، تظهر في مجالات متعددة: عقلية، نفسية، اجتماعية، وحسية، وتُشكّل الإطار الذي يجب أن تُبنى عليه العملية التعليمية.

*ولأن الفروق لا تنشأ من فراغ، انتقلنا إلى تحليل أسبابها، فوجدنا أنها نتيجة تفاعل معقد بين العوامل الوراثية والبيئية، ما يعني أن المعلم مطالب بفهم خلفيات تلاميذه وظروفهم لا مجرد ملاحظة سلوكهم داخل القسم.

*من هنا ظهرت الحاجة إلى توظيف طرائق تدريس مرنة ومتنوعة تسمح لكل متعلم بأن يتقدم وفق وتيرته، دون أن يُفرض عليه قالب تعليمي لا يناسبه. فالتعليم التفريدي، والتقويم البديل، والممارسات الصفية النشطة تُعدّ أدوات أساسية في تكييف الممارسات البيداغوجية بما يُراعي هذا التنوع.

*ومع ذلك فإن التدخل البيداغوجي لا يكتمل إلا بإدراك دور المعلم في دعم التوازن النفسي والتربوي للمتعلم، إذ إن احترام خصوصية الطفل وتقبّل نقاط ضعفه دون تحقير هو مدخل أساسي لبناء بيئة تعليمية آمنة ومحفزة، تُعزّز الثقة بالنفس وتُشجع على المحاولة والتعلم.

* أهمية التعرف على أنواع شخصيات المتعلمين، حيث يفرض التنوع الشخصي داخل القسم على المعلم تنويع أساليب التعامل، فليس كل تلميذ خجولاً يحتاج إلى نفس الدعم، ولا كل كثير الحركة يمثل حالة سلبية، بل لكل شخصية مفتاحها التربوي الذي يجب اكتشافه.

*وأخيراً تبين أن إهمال هذه الفروق لا يؤدي فقط إلى تراجع التحصيل أو نفور المتعلمين، بل يُكرّس شعوراً بالتهميش، والفشل، وعدم العدالة داخل البيئة الصفية، وهو ما يُهدّد الوظيفة التربوية للمدرسة.

*لذا فإن مراعاة الفروق الفردية ليست مجرد خيار تربوي، بل مسؤولية أخلاقية ومهنية ملقاة على عاتق المعلم، لأن التعليم الناجح هو الذي يُوجّه إلى الإنسان بما هو عليه، لا بما نريده أن يكون.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية ، مج1، ط1-2003، القاهرة
- عبد الحميد ابراهيم- عبد الحميد محمد ، الفروق الفردية وآثارها في عملية التعليم وتطبيقاتها، 1435هـ .
- ميرفت عبد المنعم، الفروق الفردية بين الأطفال، مقال بتاريخ: 2017/12/06 .
- ابو حسن ظاهر خالد، فنّ التدريس في الصفوف الابتدائية الثلاثة الأولى، عمان-الأردن، دار أسامة للنشر .
- بدر عبد الحميد هميسه ، مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ، مقال في صيد الفوائد .
- خالد بن عثمان السبت ، شرح حديث أبي هريرة "النّاس معادن" ، محاضرة بتاريخ : 19/جمادي الآخر/ 1428 .
- محمد سعيد مرسي ، فن تربية الأولاد في الإسلام .
- د/ عبد اللّطيف بن حسين فرج ، طرق التدريس في القرن الواحد والعشرون، ط1-2005، دار المسيرة.

- عريشة أبو الأرباح ، موضوع في تعليمية المادّة : مزايا العمل الفوجي ، ت: 2019/03/26 ، بوعبدلي - مسعد .
- أحمد حسن محمّد علي ، مهارة التّعامل مع الفروق الفردية للطلّاب ، مقال بتاريخ : 2017/05/17 ، منتدىّ تعليم جديد .